صاحبُ القلبِ الذّهبيّ

3

سناء كامل أحمد شعلان

« إهداء »

إلى القائدِ الحَكيمِ الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان
رحمهُ اللّه

في خِضَمّ إنجَازاتك الواسعَة و المتعدّدة بنيتَ الإنسانَ و رعَيْتَ الطّفولةَ و وجّهتَ لكي ترى جائزتي النّور و تكونَ زهرةً فوّاحةً في حقلِ الطّفولةِ الإماراتيةِ و العربيةِ ..

و هَا أنذا أصرّ على استمرار جَائزتي وفاءً لفكرِكَ و عبقَريتكَ ، و أدعو اللّه عزَّ وجلَّ أنْ يُطيّبَ اللّه ثراكَ ، و أن يتغمّدك في فسيحِ جنّاته، و يتقبّلكَ مع الصدّيقين ..

إنّه على كلّ شيءٍ قدير

فاطمة بنت هزاع بن زايد آل نهيان

تمت الطباعة بإشراف الهيئة العليا

لجوائز مسابقات أنجال
الشّيخ هزّاع بن زَايد آل نهيَان
لثقافة الطفل العربي

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة لصالح الهيئة العليا

ترخيص وزارة الاعلام
رقم: أث/ ١٦ / ١

الإمارات العربية المتحدة - ابو ظبي - ص.ب : ٤٥٤٤٣
هاتف : ٠٢-٦٤٤٤٨٤٤ / فاكس : ٠٢-٤٤٤٤٤١٦
البريد الالكتروني : E-mail: archiprz@emirates.net.ae
موقعنا على الانترنت: http:// www.arabchildprize.co.ae

ISBN: 978-9948-433-28-6

ريع هذا العمل مخصص لصالح المعاقين و الأعمال الخيرية في دولة الإمارات العربية المتحدة و خارجها

القصة الحائزة على المرتبة الثالثة مناصفة لجائزة

الشيخة فاطمة بنت هزاع بن زايد آل نهيان

لقصة الطفل العربي

الدورة العاشرة ٢٠٠٦ م

تأليف

سناء كامل أحمد شعلان

الإخراج الفني

Bin dasmal
Advertising

هاتف : ٢٨٥٦٩ ٢٨ ٤ ٩٧١+

رسوم : حسن السعدي

«كانتْ مَملكةُ الشّمس أسْعدَ بلادِ الدّنيا، الكُلّ فيها ينعمُ بالأمانِ والدّفء والحُبّ، والشّمسُ تغمرُ الكُلّ بأشعّتها الذهبيةِ التي تُدغْدغُ القلوبَ الحزينةَ فتفرحُها، وتردّ السّعادةَ إلى الوجُوهِ الذّابلة، كانتْ شمسًا عظيمةً تشْملُ كلّ البشَر، ولا تَعرفُ فرقاً بينَ مُواطِن أو آخر، إلى أنْ جاءَ ملكُ الظّلام من مَملكته البعيدة، جَاءَ بجَيش جَرّار من أصْحَاب الوجُوهِ السوداء، والعُيونِ المُظْلمةِ، والقُلوبِ الميتة. أحَاطَ الشّمسَ بعَباءته المظْلمة، وعَادَ بها إلى أرضه، وترك المملكةَ غارقةً في الظّلام والخَوف والكَراهيّة، واقْتادَ معهُ ملكَ المَملكة الذي لم تَحزنْ المملكةُ لفقْده بَقدْرِ ما حزِنَتْ لفقْدِ الشّمسِ التي تُظلّهم بدفئِها، وتَغمُرهُم بأشعّتها الذهبيّة..»

«ثم ماذا حدثَ..؟» قالَ الأميرُ الفتَى شَمس ذو العَينين الشّفافَتين، والوجْه الشّاحب ذُو المَلامح الحَزينة. تنهّدَتْ أمّهُ المَلكةُ شمس زادَه، وقالتْ: «ثم ولدتَ أنتَ، كُنتَ مثلَ باقيْ أطفالِ المَمْلكة المَولُودين في زمنِ الشّمسِ المَسْلوبةِ، بوجْهٍ شَاحبٍ، وملامحَ حزينة، وعينين شَفّافتين».

«والشّمسُ يا أمي؟ ماذا حدثَ لها؟» قَال الأميرُ شَمسُ بلهفة.

قالتْ الملكةُ بأسىً : «الشّمسُ مازالتْ حبَيْسَةً في مَملكةِ الظّلامِ، حيثُ يسعدُ بها سكّانُ تلك المَمْلكة».

سَأل الأميرُ : «وهلْ ستبقَى مملكَتُنا غَارقةً هكَذا في الظّلام؟»

قالتْ الملكة التي تُراقِبُ المملكةَ الغارقةَ في الظّلام مِنَ نافذةِ قَصْرها المَصْنوعةِ من الأبنوس والعَاج، والمطعّمةِ بالذهب والماس، والرّعيةَ التائهة في الظّلام: «نعم سَتبقَى هكذَا حتى تُعاد الشّمسُ المَسْلوبَةُ، أتصَدّقُ أنني بتّ مثلَ باقي أفرادِ المملكة أحلمُ بالشّمسِ تَغمرُ وجْهِي وجسدي؟».

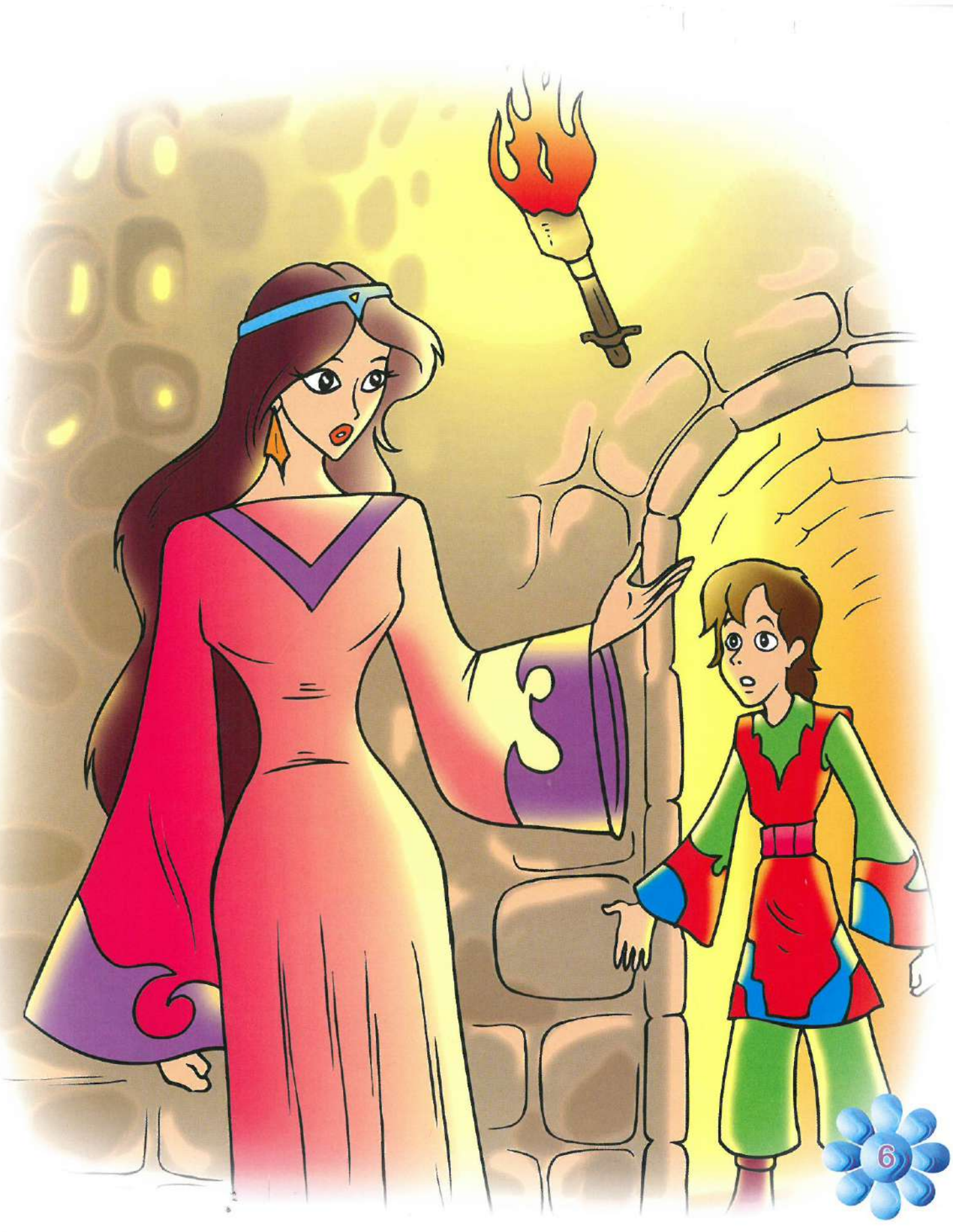

قالَ الأميرُ شمس بحزنٍ : «وهل يعيشُ أبي المِلكُ هناك في الأَسرِ والذلّ؟»
قالتْ الملكةُ : «نعم يعيشُ أسيراً ذَليلاً، وقد أُصيبَتْ عَيناهُ بالعمَى من طولِ بقائهِ في الظّلام، وأصبحَ بوجهٍ شاحِب، وقلبٍ ميّت».
قالَ الأَميرُ شّمْس بحُرقةٍ : «ألا يمكنُ يا أمي أن نُساعده؟».
قالتْ الملكةُ بحُزنٍ بادٍ على قَسَماتها الشّاحبة: «فقط إذا اسْتَعدنا الشّمسَ المسْلوبةَ، عندها سوفَ تَعودُ السّعادةُ إلى الوجُوهِ الحزينةِ، وتضحكُ الثغورُ، وتَتدَفّقُ الحَياةُ في العُيونِ الشّفّافة».
كان المَعلمُ الأَكبرُ وحُجّةُ العِلم يسمعُ حوارَ الملكة وابنها الأمير اليافع، تدخّل قائلاً: «الأسطورةُ تقولُ إنّ الشمسَ ستعودُ إلى مَملكةِ الشّمسِ في عَربةٍ منَ البلّورِ يَجرّها فارسٌ له قلبٌ من الذّهب».
قالَ الأمير شمسُ باستغرابٍ ودَهْشَةٍ: قلْبٌ من الذّهب؟! كيفَ يمْكنُ للإنسانِ أن يكُونَ له قلبٌ من الذّهَب؟!».
قالَ المعلمُ الأكبرُ: «لا أعرفُ لسؤالكَ إجابةً، إجَاباتُ أَسئلتكَ عند صَاحبِ القَلبِ الذهبي، هو الحُلمُ الأكبرُ، وهو من سَيعيدُ الشمس المَسْلوبةَ».
-«كيفَ أجدُه؟! » قالَ الأميرُ شَمْسُ بلهفة.
-«ابحثْ عَنه» قالَ المعلمُ الأكبرُ بلا مُبالاةٍ.
«أينَ؟» سَأل الأمير
«في المَمْلكة» أجابَ المعلمُ الأكبرُ.
مرةً أخرى سَأَل الأميرُ شمس: «كيفَ أعرفُه؟»
«ستعرفُه بقَلبكَ» أجابَ المعلمُ الأكبرُ.
وغادَرَ المكانَ مُردّداً: «بالقلبِ نعرفُ الحقَائقَ».

صَمَتَ الأميرُ شمس، وأخذَ يفكّر في كلماتِ المعَلم الأكبر، وتَساءلَ أنّى لإنسانٍ أن يملكَ قلباً من ذهَبٍ؟! لأيام لم يأكلْ من الطّعام اللذيذِ الذي يقدّمُ له، واحترَفَ هوايةَ مراقبة الأهَالي من نافِذتهِ، لكنّهُ لم يَستطعْ أن يرَى من مكانِه الشّاهق البعيدِ سوى الظّلام.

فكّر الأميرُ ثم فكّر، وردّدتْ الريحُ قائلةً: «الأميرُ شمس حَيران».

لأيام طَويلة فكّرَ الأميرُ في هويّة صَاحب القلب الذهبيّ، ولكنّه لم يهتدِ إلى مَطلبه، وأخيراً قرّر أن يتجوّلَ في مَمْلكتهِ الكبيرةِ الغَارقةِ في الظّلام؛ ليجدَ صَاحبَ القلبِ الذهَبيّ.

ارتدَى الأميرُ تاجَهُ الذهبيّ ذا الجوهرِ المَاسيّ، وحملَ صولجَانهُ الذّهبي، ولبسَ ملابسَهُ الثّمينةَ، وانتعَلَ حذاءَهُ الذهبيّ، وركَبَ حصَانهُ الأبلقَ الأصيلَ، وحزمَ معَهُ الكثير من المالِ والجوهرِ والطّعام والفَاكهةِ، وانطلقَ في رحْلته من الجَهلِ إلى المَعْرفة، بحْثاً عن صَاحب القَلب الذهَبيّ، كانتْ رحلةً طويلةً ومُخيفةً، فالمملكةُ لم ترَ الشمسَ منذ سَنوات، والأشْجارُ جافةٌ، والطّرقاتُ زَلقَةٌ، والجو باردٌ، والأرضُ بُورٌ، والرعيةُ تعيشُ في حزنٍ وخوفٍ، ولا تعرفُ شيئاً من الطّعام اللذيذِ واللّباسِ الفَاخرِ الذي يعرفُه في قصْره المَنيع، من هُنا كانتِ الرؤيةُ أفضل، استَطاعَ أخيراً أن يرى وجوهَ رعيتهِ الغَارقةِ في الحُزنِ والظّلام والخَوفِ.

شعرَ الأميرُ بحزنٍ كبيرٍ على رعيتهِ البائسة، وتمنّى لو أنّه يستطيعُ مسَاعدتها، تمنّى ذلك من كلّ قلبهِ، الذي سمعَ وجيبه المضْطرِبَ، وشعر به يتفطّر حزناً على الرعيةِ الغارقةِ في الظّلام، وردّدتْ الريحُ «أميرُ البلادِ بدأ يشعرُ بأحزانِ الرعية».

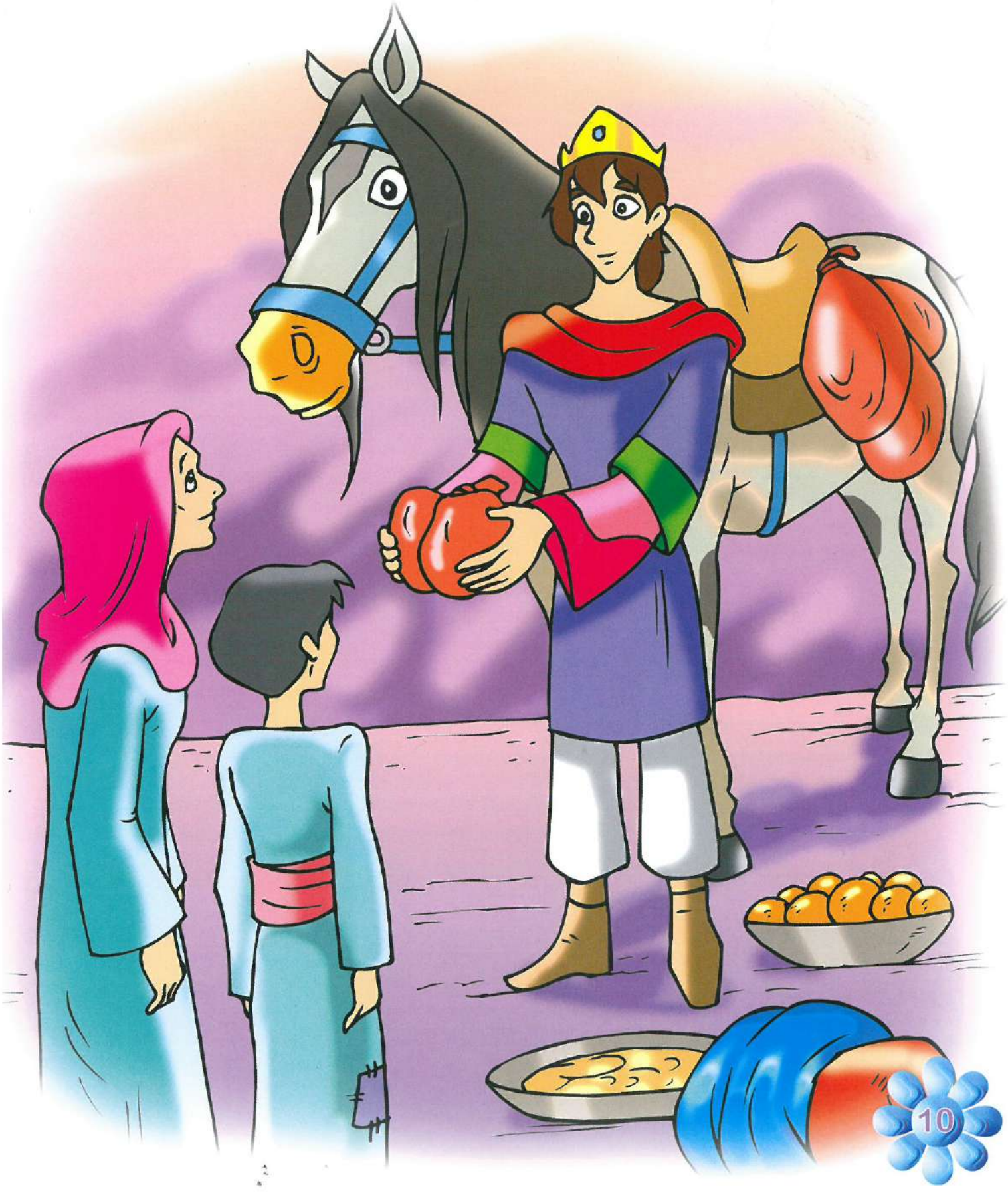

قررَ الأميرُ أن يذهبَ إلى جبلِ الحكْمة حيثُ تعيشُ سّيدةُ الحكْمة والدّهور؛ ليسألها عن صَاحب القلب الذهبيّ، وعن مكان وجوده.
كانتْ الطريقُ طويلةً وشاقةً جداً، ولكنّ الأميرَ شمس كان مُصَمّماً على أن يجدَ صاحبَ القلبِ الذهبيّ؛ ليُحرّر مملكتَه من الظّلام، ويُعيد الشمسَ المَسْلوبةَ.

سارَ الأميرُ طَويلاً في مَمْلكته، لم يقتربْ أحدٌ من الرعّية منه، شعرَ أنّه وحيدٌ بين شَعبه، كانتْ المبَاني المُظْلمة كثيرةً، ولكنّ السّجون كانتْ أشدّها سَواداً، تسَاءلَ عن سَبب كثرة السّجون، قال في نفسه: «لابدّ أنّها تضُمّ المُجْرمين»، لكنّ الريحَ صَفّرتْ في طَول البلاد وعرضِها قائلةً: «الأميرُ شمس خائف... الأميرُ شمس خائف، لأنّ في سجنه آلافَ الأبرياء، وفي مملكته آلافَ الجياع».
ابتسَم الأميرُ شمس وقد لمَعَتْ فكرة في خاطرَه، وقال: «لن أخَاف بعد الآن، ولن يجُوعَ أحدٌ في مَمْلكتَي بعد الآن».
وعِندها أمَر أن تُفتح السّجون؛ ليخرجَ منها كلّ الأبرياء.
ثم طفِقَ يوزّع كلّ ما يحْمِلُ من ثروةٍ وجَواهِرَ على الفقراء والجياع، فأكَل كلّ الجياع، وفرِح الأطفالُ لأوّل مرةٍ منذ رحيلِ الشمسِ، ودعَتْ الأمهاتُ للأميرِ شمس بطولِ العُمرِ والبقَاء.

في تلك اللّيلةِ لم يتذكّرْ أحدٌ الملكَ الأسيرَ الذي رحَلَ مع شمسهِ ومع ظُلمهِ، بل حتى أنّهم شعروا أنّ سوادَ هذه الليلةِ أقلّ من سَوادِ اللّيالي السّابقةِ، ولأوّل مرةٍ منذ بدايةِ رحلةِ الأميرِ تَابعتْهُ العيونُ بالحبّ، وردّدتْ الريحُ فرحةً: «الرعيةُ تحبّ الأميرَ شَمْس»، فردّدتْ الرعّيةُ قولَها من بعدِها.

تابعَ الأميرُ مسيرته في الطّريق فوجدَ طاووساً حزيناً، منتوفَ الريش، سألهُ الأميرُ عن خُطبهِ، فأجابَ الطّاووسُ قائلاً: «يا مولاي أنا ملكُ الطّيور، ولكنّي أضعتُ بسبب الظّلامِ تاجي، ومن يومها هَجرتني الطّيورُ، وأنا في حَاجةٍ إلى تَاجٍ يُعيدُ سَعَادَتي إليّ».

فكّرَ الأميرُ شمس في ما سَمعَ، وقالَ في نفسه: «ما أجهلَ هذهِ الطيورَ التي لا تَنقادُ إلا لتَاجٍ أصمّ»، ولكنّهُ شَعر بوجُوب مُسَاعدةِ الطّاووس الحَزين، وحدّثَ نفسَهُ من جَديدٍ قَائلاً: «أنا لستُ في حَاجة إلى التّاج، لأنّ حُبّ الرَعيةِ هو التاجُ الحَقيقيّ».

خَلَعَ الأميرُ شمس تاجَهُ الذهبي ذا الجَوهر المَاسي، ووضَعهُ فوق رأس الطّاووس الذي سُرعان ما تجمّعتْ حولَه سائرُ الطيورِ الحَمْقَى التي تبهرُ بلمَعان الجَوهرِ، ولا تَهمّها الرأسُ التي تَحمْل التاجَ.

وتابعَ الأميرُ شَمسُ طَريقهُ دون تاج أو طَعام أو مال، وأخيراً وصَلَ إلى أرض بُور غارقةٍ في الماء، كان أهلُها حَيَارىً حزينين، سألَ الأميرُ باهتمام عن مصْدرِ الماءِ الذي يُغرقُ الأرضَ، فقالَ كبيرُهم: «يا مولاي الأمير شمس، سَدُّ المَدينةِ معطوبٌ منذ سنواتٍ، وهو يَسمحُ بتسرّبِ الماءِ الذي يُغْرقُ الأرضَ والمَزْروعاتِ».

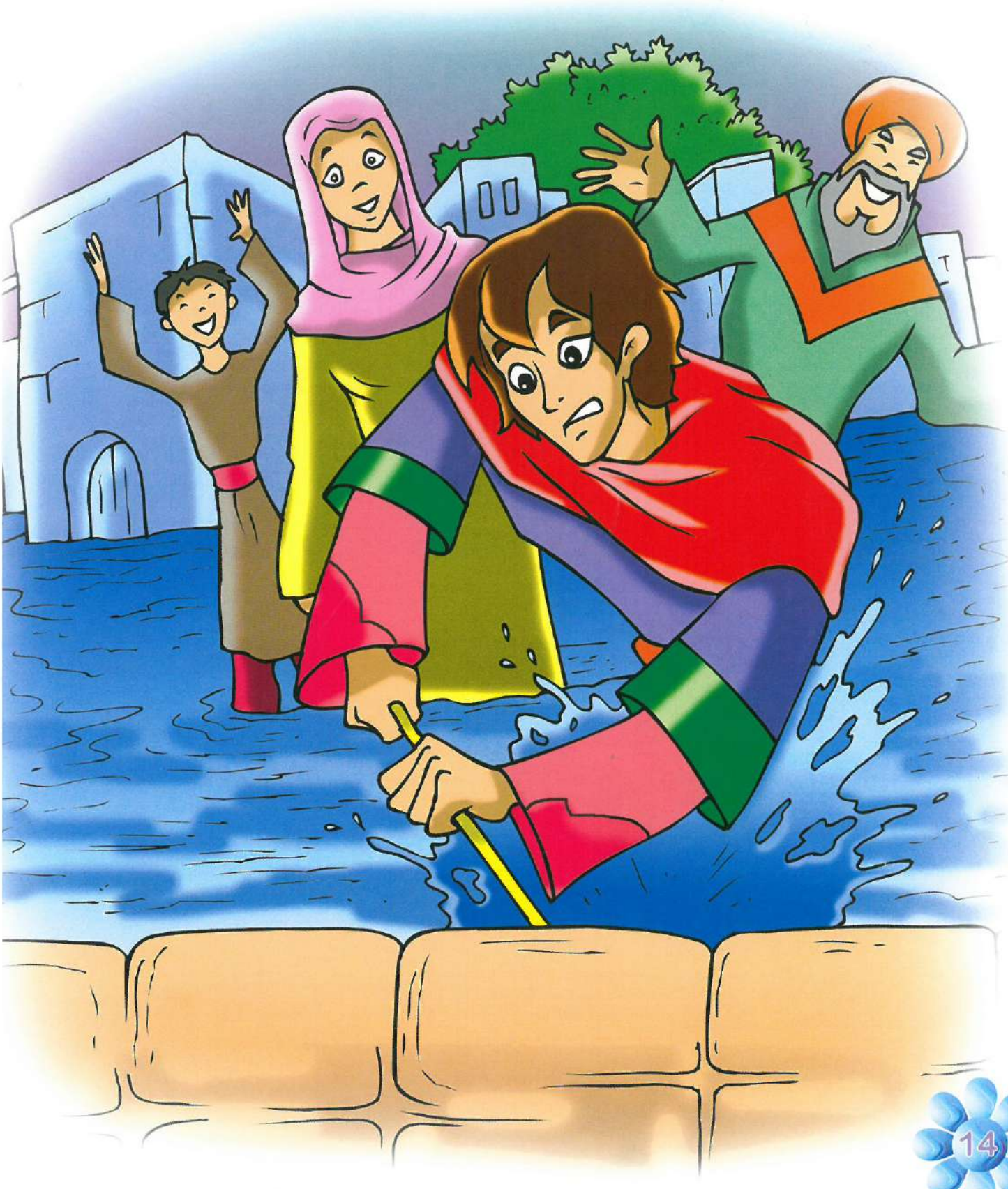

قالَ الأميرُ شَمس باسْتِغراب: «ولماذا لا تُصْلحُونه؟».
قالَ الرجلُ: «حَاولنا كثيراً، ولكنّ السدّ تنقصُهُ قِطعةٌ خشبيةٌ سِحْرية بحجمٍ مُعينٍ لتُغلقَه، ونحن لم نَجدْها حتى الآن».
سارعَ الأميرُ شمس بإلقاءِ نظرةٍ على الثغرة الموجودة في السدّ، فوجدَها تماماً بمقدار صَولجانه، فكّر قليلاً، وقال في نفسه: «لستُ في حاجةٍ إلى الصّولجان، حبّ الرعيةِ هو الصّولجان». ثم دفَعَ الصّولجان في مكان الثغرة، فسُدّتْ تَماماً، وتوقفَ تدفقُ الماءِ، وعمّ التفاؤلُ المكان، وغمرتْ السّعادةُ الفَلاحين، ودَعَوْا لأميرهم الحَاني بالتوفيق، وردّدتْ الريْح: «الأميرُ شمس بدون مالٍ أو تاجٍ أو صَولجان، ولكنّه صاحبُ قلب كبير».
وبعد تَطْوافٍ طويل وشَاق وصَل الأميرُ إلى بئْر الأمنيات، كان قد سمعَ عنها طَويلاً وهو طفلٌ، كانتْ بئراً تتحقّقُ عندها الأمنياتُ قبلَ سرقةِ الشّمس، كانت البئرُ مهدمةَ الفُوهة، متَهالكةَ الجُدران، العيونُ حولَها تحلُمُ بأمنياتها، ألقى الأميرُ نظرةً في البئر، وتمنّى لو أن أمنيتَهُ تتحقّقُ في إيجادِ صاحب القَلب الذهبيّ، ورددّت البئرُ أمنيتهُ، لكنّ أحدَ المرابطين في المكانِ قالَ له بيأس: «لا فائدةَ من المحَاولة، لأنّ ملكَ الظّلام قد سَحر المكانَ، وألقى بلَعنته على ماء البئر». قال الأميرُ شمس: «يا له من شرير! حتى الأحلامَ سرَقَهَا، ألا توجدُ طريقةٌ لفكّ لعنته عن هذه البئر؟» قال الرجلُ بيأس: «توجدُ طريقةٌ، ولكنّها بعيدةُ المنال»، قال الأميرُ بلَهفة «وما هي هذه الطريقةُ؟». قالَ الرجلُ: «إذا انغمسَتْ دماءُ ملكيةٍ في هذه البئرِ، وحُققتْ أمنيةُ أولِ مُتَمَنٍ في المكان، عندها ستزولُ اللّعنةُ».

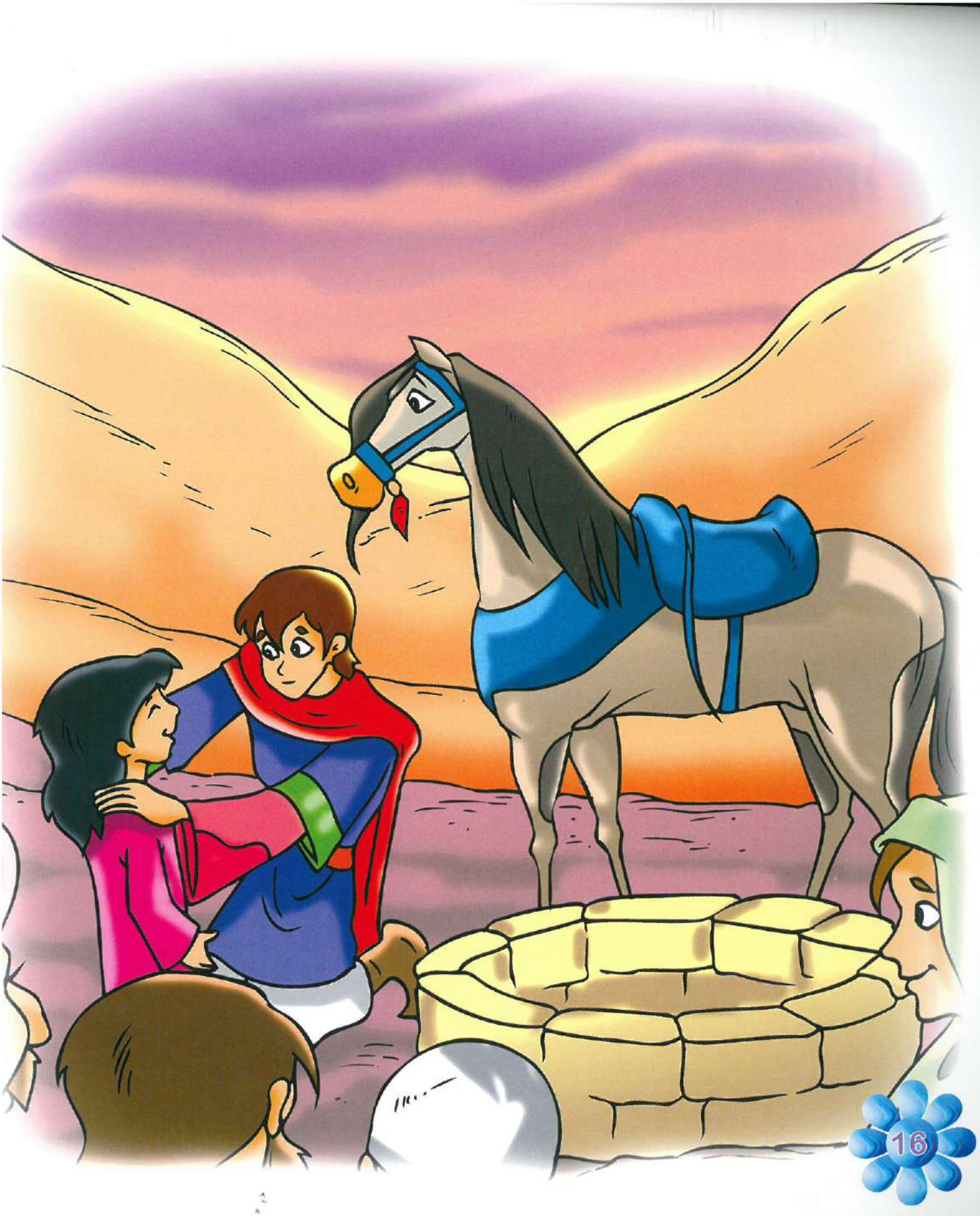

«وتَنتهي المُشْكلةُ بهذه الطريقة؟» قَال الأميرُ براحةٍ.
قَال الرجُل: «نعم.. ولكنْ على المتبّرع بهذه التضحيةِ أن يعرف أن كلّ أحلامهِ ستَضيعُ، ولن يعودَ من حقّه أن يتمنّى».
«وإذا تمنّى ماذا سيحْدُثُ؟» قَال الأميرُ بوجلٍ.
أجابَ الرجلُ: «سوف يُصبحُ رماداً مُتطايراً».
صَمتَ الأميرُ للحَظاتٍ، وشعرَ بحزنٍ، لأنّه لن يستطيعَ أن يتمنّى بعد الآن، وداخلَهُ شيءٌ من الخوفِ، ولكنهُ سارعَ إلى خنجرهِ فجرح نفسهُ، وانزلقَ دمهُ في البئر، التي بدأتْ تضجّ بالحَياة، عندها سمع طفلةً تقولُ مشيرة إلى حِصَانه المفضّل عنده الذي يركبهُ: «ما أجملَ هذا الحصَان! أتمنى الحصولَ عليه». على الفور قدّم الأميرُ حصانه المفضّل للصغيرةِ التي تمنّتْ الحصولَ عليه، لكي يفكّ اللعنةَ التي تكبّل البئر، وعجبَ من لؤم عدّوه الذي سرقَ الأمنيات وجعلَها ممنوعة، وشعر باشتياق شديدٍ للشمس، وبحثَ عنها في السّماءِ، ولكنه لم يجدْها. وصرخَ بأعلى صَوتهِ: «أيها الرعيةُ، احلمي، تمنّي، الأحلام مسْموحَة، الأمنياتُ مسموحةٌ».
وغادرَ الأميرُ البئر وهي تضجّ بالأمنيات، وقد رحلَتْ اللعنةُ عنها، وكاد يتمنّى، ولكنه تذكّر الموتَ الذي ينتظرهُ عند ذلك، انزلقَتْ دمعتان من عينيهِ الشفافتين، ومسَحَهما سريعاً، وشعَر بالاعتزازِ بنفسهِ؛ لأنّه اشترى لرعيتهِ هذه البئر بثمنٍ مرتفعٍ، ألا وهو أمنياته.

ورددتْ الريحُ بأسىً: «ممنوعٌ على الأمير أن يحلمَ».
فردّدتْ الرعيةُ بحزنٍ وحبّ: «حتى ولو لم يحلُم الأميرُ الطيّبُ فنحنُ نحلُم أن تتحققَ أمنياتهَ» واستَجابتْ البئر لأمنية الرعية في أن تتحققَ أمنيةُ أميرِها.
وتابعَ الأميرُ طريقه، كان مُتْعباً وجَائعاً وفقيراً، ومن دون تاج أو صَولجان أو حِصَان أو حتى أمنيات، ولكنه كان يَشعرُ بالسّعادة، ومُصَممٌ على أن يجدَ صاحبَ القلب الذهبيّ، وكان ينتظرُ بَلهفةٍ أن يصلَ إلى مُلتقَى النهرين السّحْريّين اللذين يفيضَانِ عَسَلاً ولبناً لينعم بشيءٍ من الطعام الذي حُرِمَ منه منذ زمنٍ طويل. وأخيراً وصَل إلى مَجْمَعِ النّهرين المنشُودَين، لكن المفَاجأة السيئة كانتْ في انتظارِه، لقد جفّ النهران تماماً، وبات كلّ ما حَولهما جَافاً ومَيّتاً، وعلى ضِفَاف النّهرين الجافّين انتشرتْ البيوتُ القشّيةُ التي يسكُنها الفقراءُ، الذين خَابتْ آمالُهم في أن يجدُوا اللّبن والعسَل، وشَعر أنه أيضاً من أولئك الذين خَابت آمالهُم، وأدركَ لأولِ مرةٍ في حياتهِ معنى كلمةِ خَيبة أمل، وأشفَقَ على الرّعيةِ التي تعيشُ خَيْبَاتِ أملٍ كثيرةٍ.
استقبلَهُ الفقَراءُ بحفَاوةٍ على الرّغم من فقرهم، فقد كانَتْ الرّيحُ قد حملَتْ لهم أخبارَ عطفه وحُنوه على الفقَراءِ، وهالَهُ مَدى نحف الفقراءِ والمعوذين، حدّثَ كثيراً منهم، وطالَ حديثهُ مع أكبرهم سناً، كانتْ عجُوزاً يناديها الكلّ باسم الجَدّة، كانتْ السنينُ قد حفَرتْ على وجهَها الطّيب عشَراتِ الخطُوط، التي تُوحِي بتقدّم السّن، كانتْ ممّن يحفظُون القِصَصَ، ويروونها على مَسَامع الجياعِ كي يَنسوا جُوعَهم.

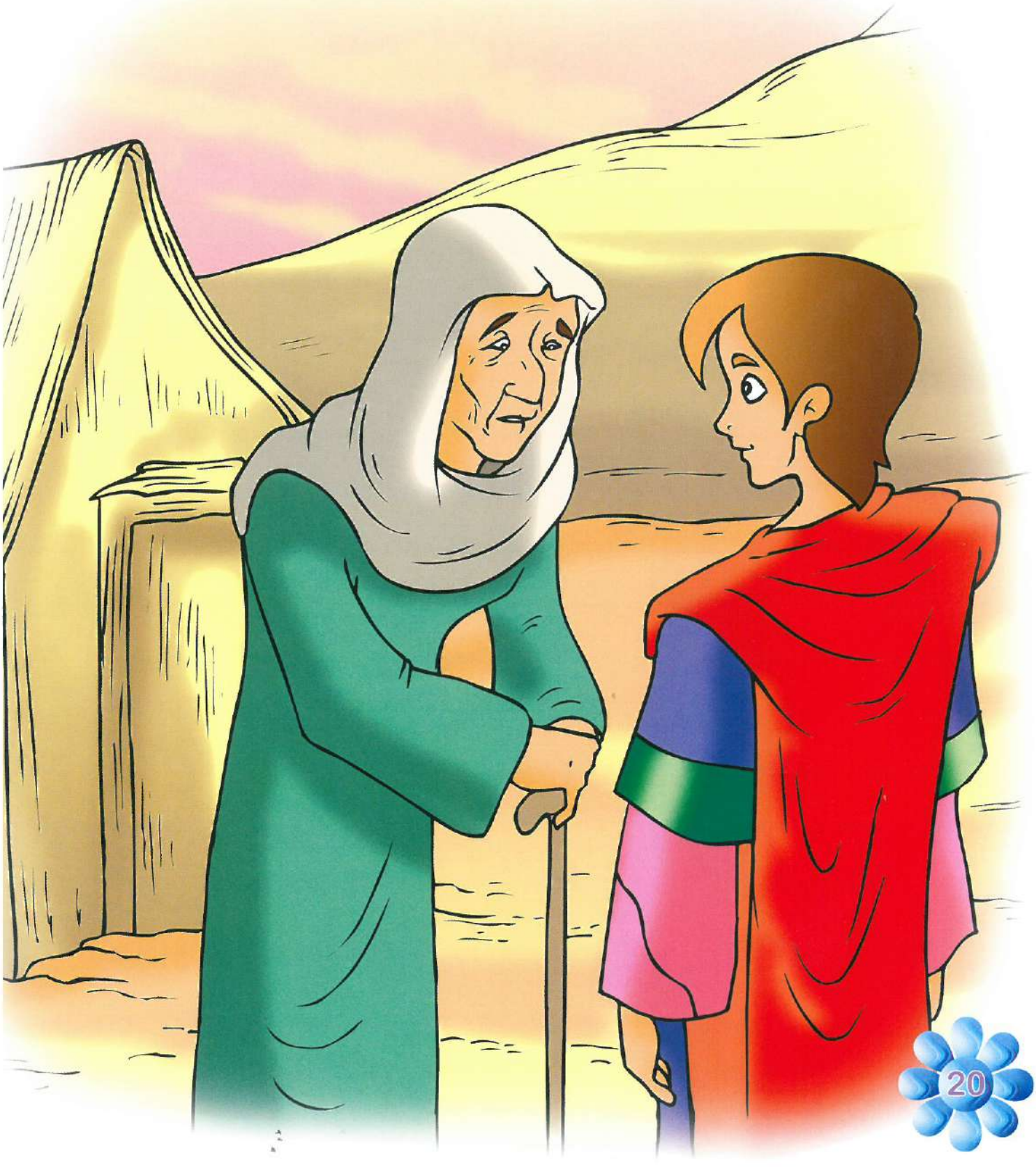

والحَقيقةُ أنّ الأميرَ شمس نسِي جوعه وهو يَسْمعُ واحدةً من هذه القِصَص التي تَحْكي عن السّعادة التي عَرفها سكانُ المَمْلكَة، قبلَ أن تُسرقَ شَمسُهم العَزيزةُ، حَدّثَتْهُ طويلا عن تلك الشّمس، وعن أشّعتِها الذهبيّة، وعن دفْئِها، حتى أنّه كاد يتمنّى أن يَراها، لكنّه توقّفَ عن التمنّي خَوفاً من أن يتحوّل إلى رمادٍ مُتطاير.

تنهّدت العجُوز ثم قالتْ: «إنها حزينة لأنّها عمّا قليل سوف تنسَى كلّ قصَصَها التي تُحبّها، ولن تستطيع سردَ قصص الشّمس التي اشْتاقتْ إليها، وتتَمنّى الموت تحت سَناها المقدّس، استغربَ الأميرُ من هذا القول، وسَألها لماذا تقولُ هذا الكلام؟ فقالتْ له: «يا مولاي الشابُ، لقد طالَ انتظارُنا لعَودةِ الشّمس، كما طالَ انتظارنا لظُهور صَاحب القلب الذهبيّ، ولكنْ دون فائدةٍ، ودون بارقةِ أملٍ، والجُوعُ قد اشتدّ بنا، وقد قررتُ أن أَحلّ مُشْكلة النّهرين».

قالَ الأميرُ شمسُ: «وكيفَ السبّيلُ إلى ذلك؟»

قالت العَجوزَ: «هذان النهران يُسمَيّان نَهرا النّسيان، ويقالُ أنهما ينبعان من لبّ الأرض، حيثُ كان مولدُ الشّمس بينَ الحرارة والضّغط، وهذَان النهران مُحتبَسان منذُ أنَ غَابتْ الشمس، وقد أَخبْرني جَدّي لأبي أنّ هناك أسْطُورة تقولُ إنّ توقّفَ تَدفّق النّهرين يَعني انتشَارَ نسْيان الوَاجب بين البشَر، ومنْ طَريفِ الأمرِ أنّ هذا التوقّفَ لاَ ينتهي إلا إذا سَار أَحدُهم إلى لبّ الأرض، ونَذَر ذاكِرتهُ عندهُما، عندئذٍ سينْسى هو كّل ماضِيه، ويَتَدفّق النّهرانِ من جَديدٍ».

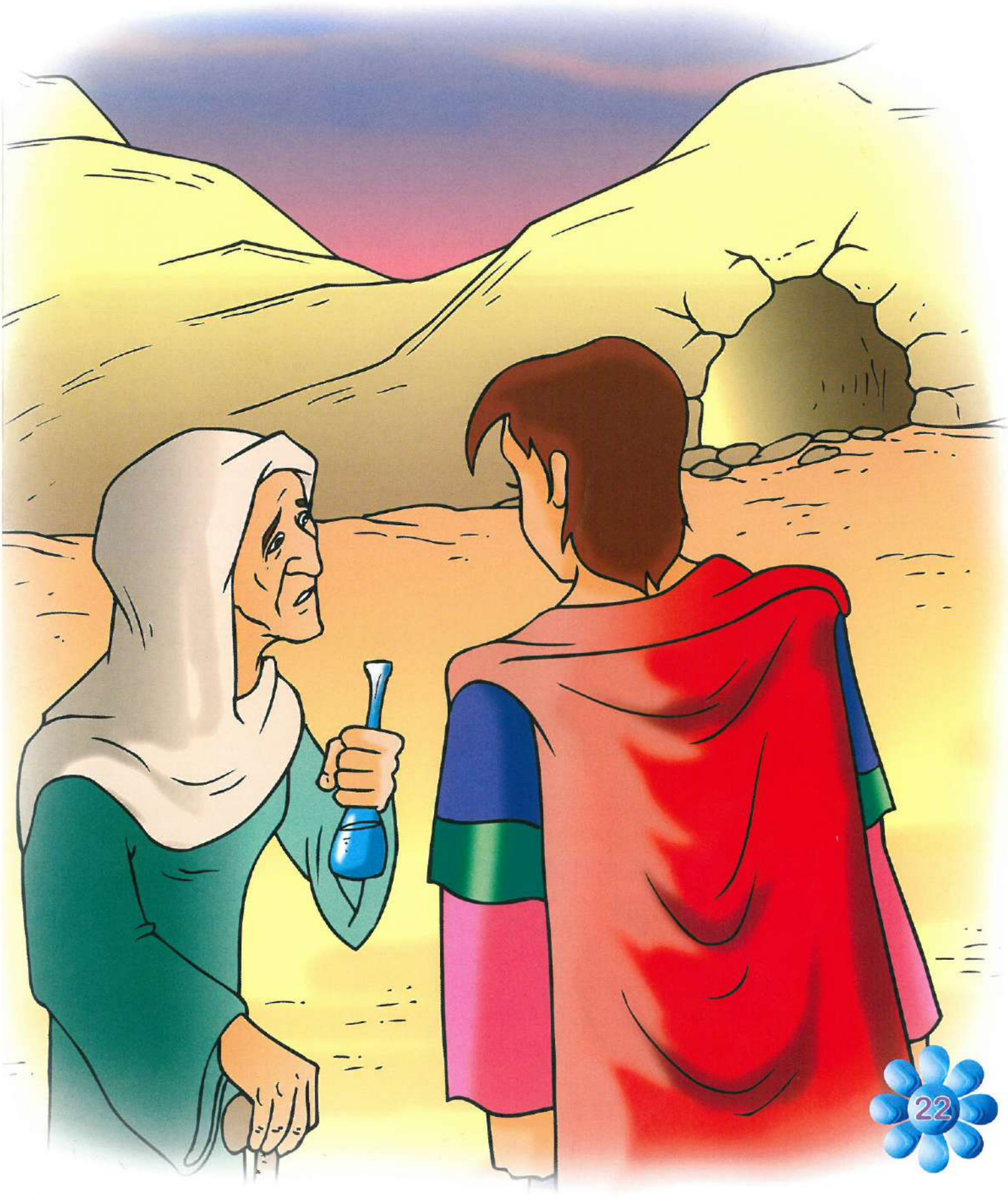

قال الأميرُ: «وهلْ أنتَ على استعدادٍ للتضحية بذاكرتكَ من أجْلِ الآخرين؟».
ابتسمَتْ العجُوز، وقالتْ: يا بنيّ يجبُ على شَخْصٍ ما أن يُضَحي من أجلِ رعيّته، وإنْ لم أعلّم الصّغَار التضْحية، وأنا السّيدةُ الكبيرةُ القُدوةُ، فمنْ سيفعَلُ؟».
شعَرَ الأميرُ بالخجَل من نفسه، وشعَر بالوضَاعة أمامَ العجوز التي تُقدّم نفسَها بكلّ بطُولةٍ لأجْلِ الوطَن، وقرّرَ أنْ يقومَ هو بهذه التّضْحية، لكنّه حزنَ لأنّه سوفَ ينسَى كلّ ماضيه، ولكنْ كان يكفيهِ أن يتذكّر أن عندَه مهمّةً واحِدةً، وهي أن يجدَ صَاحِبَ القَلب الذهبيّ.
في اليوم المقرّر كان الكلّ مُجْتَمعين، وكان في مُقَدمتهم العَجوزُ التي أرْشَدتْ الأميرَ إلَى الفَجْوةِ التي تقوُد إلى مَنبَع النّهرين، اقتربتْ العجُوز من الأمير وسْطَ بكاء المُودّعين، وقالتْ له بحبّ وعَطف ظاهرين: «هذه الزجاجةُ يابنيّ فيها تِرْيَاقٌ سِحْريٌّ عندما تَشْربهُ سوفَ تختَصرُ المسَافاتِ التي في غَمْضَةِ عين، وتكونُ سَريعاً في لبّ الأرض، هناك ستجدُ حارسَ النّهرين، أبْلِغْهُ تحيةَ أهلِ الأرضِ، وأعْلمْهُ عن نِيتك بنذر مَاضيك وذاكرتك في سَبيل تدفّق النّهرين».
«سأَفعلُ» قالَ الأميرُ الذي تأثّر بكلام العجُوز، وتجمّعَ الأهالي لوداعه.
شَربَ الأميرُ التّرياق السّحريَ، وبلمحَةِ عين كانَ في لبّ الأرض، هُناك كان النهران مُخْتَنقَين بعَسَلِهما ولَبنهما، وبالقُرب منهماً كان يقفُ حارسُ النهر، كان كتلةً مائيّةً ذات نسيمٍ عليل، ابتسَامُته كانتْ مُريحةً، قالَ الأميرُ: «أنا جئتُ كي أهبَكَ ذاكرتي كي تُرسلَ نَهْرَي اللّبن والعَسَل من جَديد». ابتسَمَ حارسُ النهرين، وقال: «أنا أُحيّ بكَ شَجَاعتك، ولكنْ قبلَ أن آخُذَ ذاكرتكَ، قلْ لي إلى أينَ تُريدُ أن أوصِلَكَ بعدَ أنْ تُعْطِيني نَذْرَكَ؟».

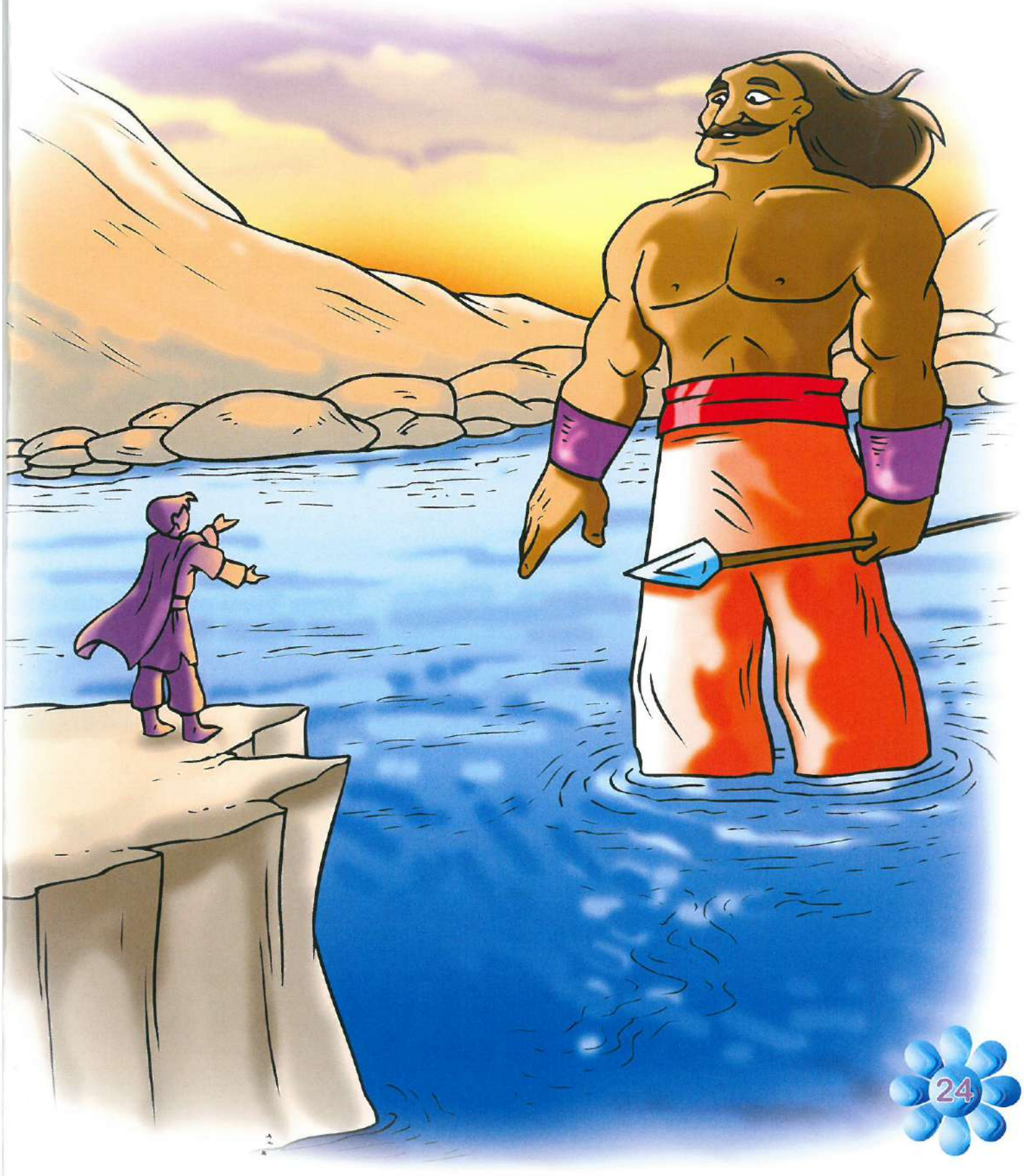

قالَ الأميرُ بصَوتٍ كسير: «أنا كنتُ في طَريقي إلى سَيدّة الحكْمة والدّهور».
قالَ حارسُ النهرين: «نحنُ الآن لا يفصلُنا عنها إلا غابَةُ التّيه، ستجدُ نفسَكَ فيها، لكنّكَ ستكونُ قد نسيتَ عندها كلّ شَيء، حتى أنّك لن تذكُرَ من تكُون».
قال الأميرُ بتأثر: «وشعبي؟! وصَاحبُ القلب الذهبيّ؟ ماذا بشَأنهما؟».
قال حارسُ النهرين: «سَتْنَسُاهما أيضاً».
صمتَ الأميرُ الحزينُ للحَظَات، فعاجلهُ حارسُ النهّرين بالقول: «لقد اعْتدتُ أن أُعطي كلّ مَنْ يأتيّ إليّ واهَباً ذاكرته هديّة، وهي أن يهدِرَ كلّ من النهرين بعبارةٍ يَخْتَارُها، فما هُمَا الجُملتين اللّتين تُريدُ أن يهدر بهما النّهرين؟».
قالَ الأميرُ بحمَاسٍ وقد وجَدَ حلاً لمشْكلة النّسيان: «أريد أنْ يُهدرَ أحدُ النّهرين بعبارة: صَاحب القلب الذهبيّ، وأريدُ أن يُهدر الآخرُ بعبارة: الشمسُ المَسْلوبةُ».
تعّجبَ حارسُ النهرين من هذين الاختيارَيْن، وقال: «لماذا اخترتَ هَاتين العبَارتين؟».
قَال الأميرُ: كي لا تُنْسيني التضحيةُ الواجبَ الذي جئتُ من أَجْله».
بعد لحَظات قدّم الأميرُ ذاكرتهُ نذْرَاً لحَارس النّهرين، وتَاهَ في دُنيا أخْرى ليسَ فيها ذَاكرتهُ، وبعدَ احتبَاس طويل تفجّر النّهران لَبناً وعَسَلاً، واحتفل أهلُ المَمْلكة بانتهاء عَهْد الجُوع، وإنْ بقِيتْ الشمسُ مَسْلوبةً، وبقُوا يَشْتاقون لدفئها، وإن بقيَ الظّلامَ مُخيّماً، وإنَ بقيَ جنودُ الظّلام يُغيروَن على خيراتِ المكان ويَسْلبونها من وقتٍ إلى آخر، إلا أنّ الكلّ بقي في انتظار صاحب القلب الذهبيّ، واستمرّ النهران يَهْدران بعِبَارتيْ: «صاحبُ القلبِ الذهبيّ، والشمسُ المسْلوبةُ».

حَاوَلَ جنودُ الظّلام أن يمنَعُوا النّهرين من ترديدِ عبارتيهما الجَميلتين، ولكنّ النّهرين ابتلعَا كلّ من اقتربَ منهُما من الأعداء، وباتتْ الأرضُ والأهالي وحتى الرّيحُ تردّد: «صاحبُ القلبِ الذهبيّ، والشمسِ المَسْلوبة»، وفي بعض الأحيان ضَبَط الجنودُ أنفسهم يُردّدونَ دونَ وعي أو قصْد: «صاحبُ القلب الذهبيّ، والشمس المَسْلوبة»، وتساءلَ ملكُ الظّلام عن صَاحب القلب الذهبي، وسألَ هل يمكنُ أن يُشترَى قلبهُ؟ فردّدت الريحُ صاخِبةً غاضبةً: «لَا يمكنُ ذلك، فالقلوبُ الذهبيّةُ لا تُباعُ أبداً».

أمّا الأميرُ شمسُ فقد كانَ هائماً على وجْهه ضَائعاً في غابةِ التيّه، قضَى الكثيرَ من الأيام فيها يسيرُ وحيداً لا يعرفُ له أسمٌ أو هدفٌ أو غاية، كان يُحاول أن يجدَ بشراً يعرفُ اسماً لهُ ولهذه المتاهة التي هُو فيها، ويعرفُ لماذا هو فيها هنا، ولكنْ من دونِ فائدة، هَديرُ النهرين وصوتُ الريح هما الوحيدان اللّذان كانا معه في هذه المتَاهة، لقد ردّدا على مِسْمعيهِ جُمْلتَيهما آلافَ المّراتِ، حتى أدركَ من جديدٍ ما سببُ وجودهِ في هذا المكان.

اعتادَ الأميرُ أنّ يجلسَ إلى جانبِ النّهرين اللّذين يقْطَعان بهديرهما متاهَةَ الغَابة، وكان دائمَ التّفكير في طريقٍ تُخْرِجُه من مَتَاهته، وتدلّه على طريقِ سيدةِ الدّهورِ، لكنْ دونَ فائدةٍ.

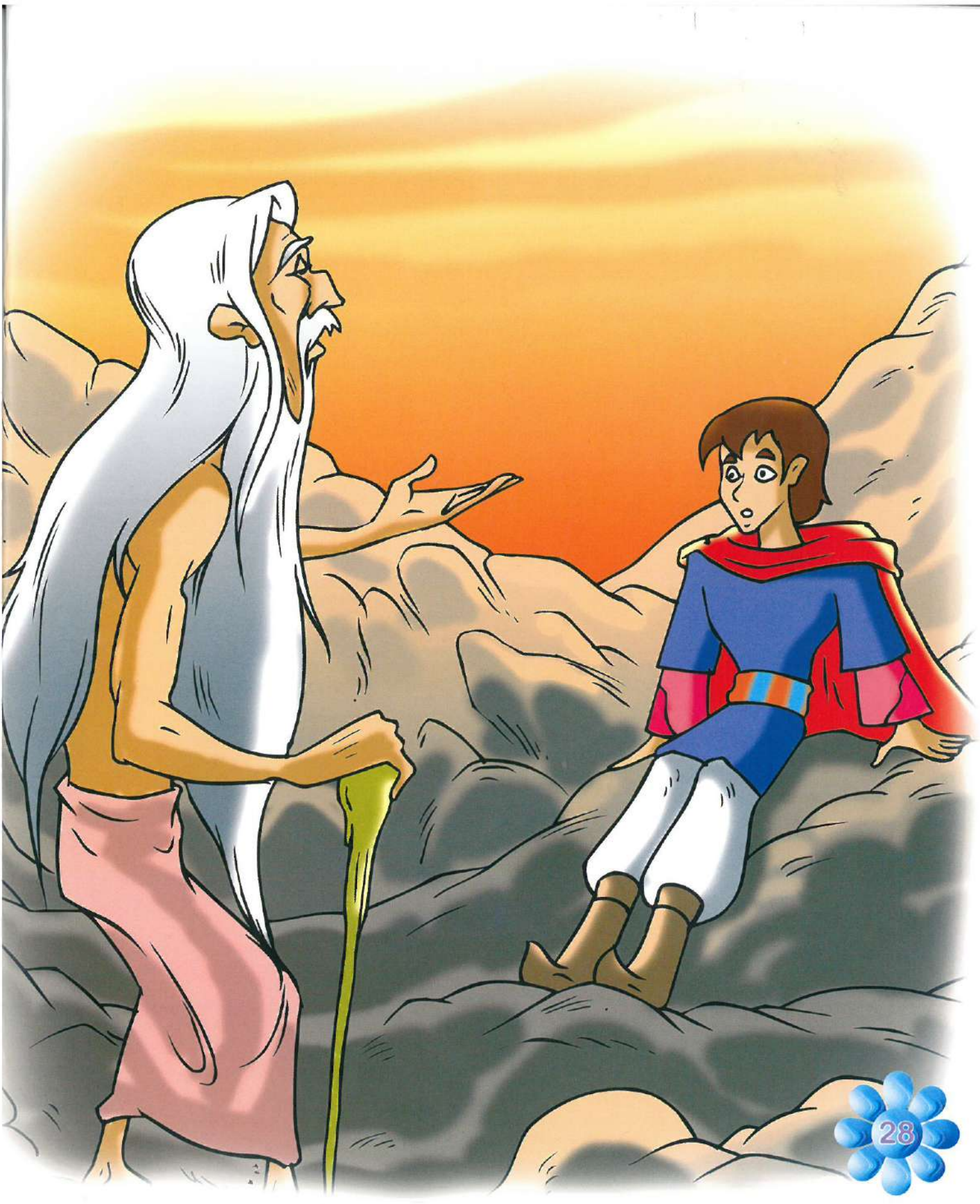

إلى أنْ جَاءاليومُ الذي لاحظَ فيه أن هناك صَوت آخر يُشَاركُ النهرين والريحَ نشيدَهُما الذي لا ينقَطعُ، تتبّع الصّوتَ، وبعد جُهدٍ وصل إلى مصْدره، لقد كان صوتَ رجلٍ قد تجَاوزَ الخَمسين من عُمْره، أشيبُ الشعر، طويلُ اللّحية، عَاري الجَسَد تماماً، كان من الواضِح أنه يُردّد كَلماته بعد صَمْت طويل، كانتْ آثار الوحْدة والوحَشة باديةً عليه، بصعوبةٍ استطاع الأميُر أن يقتربَ منه، وأن يجعلَهُ يأنسُ إليه بعد طولَ وحشة .

عرفَ الأميرُ بعد جُهدٍ سرّ هذا الرجل الوحيدِ العَاري، فقد كانتْ هذه الغابةُ المتَاهةُ هي المنفَى الذ يُؤتىَ إليه بالثّوار علىَ الظّلام والوجوه المُخيفة، كان جنودُ الظلام يأتون بهم إلى هُنا ويتركُونهم طعاماً سائغاً للوَحْدة والخوفِ والعُري.

تصنّعَ الأميرُ الابتسامَ، وقال : « لماذا العُريُ؟ ».

قالَ الرجلُ العُريُ: «هم يتركُونَنا هنا للموت، لذا يسْلبونَ منّا كلّ شيءٍ حتى ثِيابنا».

«هل أنت مُتَواجدٌ كثيراً في هذا المكانِ؟» سألَ الأميرُ.

أجابَ الرجلُ: «نعم، لكننّا في كثيرٍ من الأوقاتِ نضيعُ من جَديدٍ عن بعضِنا البعضَ».

قالَ الأميرُ: «إلى متَى هذا الضّياعُ؟».

قالَ الرجلُ بنبرةٍ حالمةٍ: «إلى أن يأتي أميرٌ طيّب يكسُو عُرْيَنَا، وينظّمُ صفُوفَنا، ويقودُنا في طريقِ الشّمس».

قالَ الأميرَ: «أرجو أن يكونَ هذا قريباً».

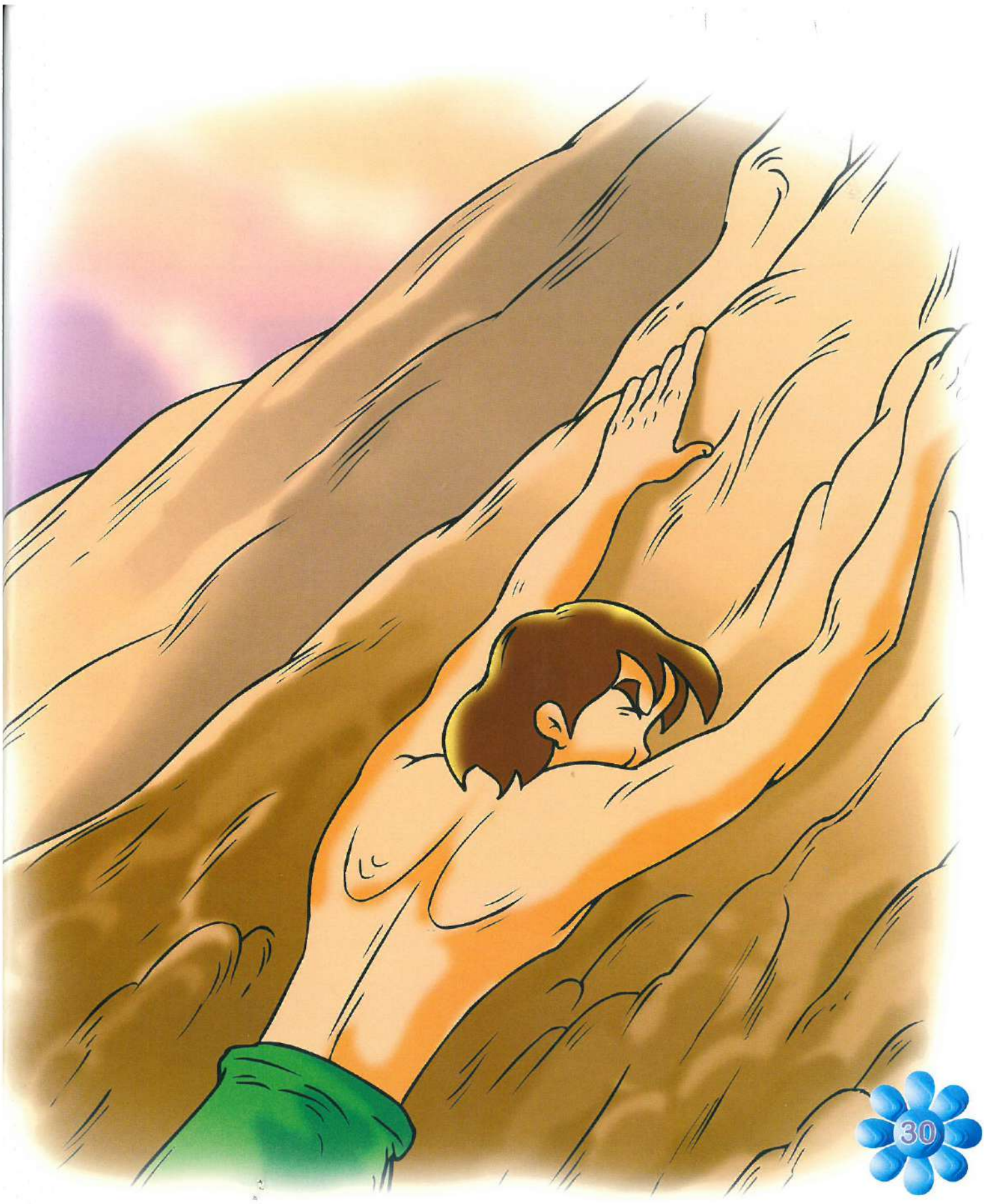

ثُمّ ابتسم الأمير وقال: نعم سيكونُ قريباً، فأنا في طَريقي للبحْث عن صَاحب القَلب الذّهبيّ، وحتىّ عَودَتي من مقابلة سّيدة الحكْمة اسمحْ لي أن أقّدمَ لك أولَ بشَائرِ عَودة الشّمس المسلوبة، سأقدّم لكَ ملابسي الفَاخرة، وحذائيَ الذّهبيّ».

«ماذا عنك يا سَيدي؟» سألَ الرّجلُ، قالَ الأميرُ: «دعني أشَاركُكم العُري في دربِ اسْتعادة الشّمس».

وأخيراً أصبحَ الأميرُ شمس عارياً من كلّ شيءٍ، بعد أن بذَلَ في سَبيل هَدفه المَالَ والجَواهرَ والملابسَ والحِصَان والذاكرةَ والأمْنيات، وباتَ الطريقُ أمامه واضحاً بعد مُساعدةِ الرّجل له، وعند أوّل الطّريق لقّمة الجَبَل قالَ الرجُل للأمير: «إلى هنا وتنتهي رفْقَتُنا، عليكَ أن تكملَ الطّريق وحدَكَ، أنا لا أملكُ أيّ شيءٍ لأهديه لكَ، ويعزّ عليّ أن أراكَ عارياً حَافياً، ولكنْ أقبَلْ منيّ هذه العُشبْةَ السّحرية التي أرجُو أن تَسْتفيدَ منها».

كانتْ عشبةً صفْراءَ ذاتَ زهرةٍ حَمْراءَ لها رائحة نَفّاذَةٌ، تأملهَا الأميرُ، ثم شَمّها، وسألَ الرجلُ: «لماذا تَستعملُ؟».

أجاب الرجلُ: «مَنْ يأكلُ منها يَستطيع طوالَ يومه أن يكلّم الحّيوانات بلسَانها، وأن يفهمَ لغتَها، هذه النبتةُ مما تُنتجُ هذه الغابةُ الملعُونة، أرجو أن تفيدكَ في رحْلتكَ».

ابتلعَ الأميرُ شمس هدّيةَ الرّجل، وانطلقَ في رحْلته عَارياً حتّى من ملابسه، كان التّسلّقُ إلى أعلَى متْعباً ومُخيفاً ولولا أنّه كان يفهمُ لغةَ الحَيوانَات لألقى بنفسهِ من علٍ بسببَ الأفاعِي التي كان يُصَادفُها في طريقه.

لكنّهُ كانَ يأْنسُ بها عندما يَسْمعُها تشجّعهُ، وتدلّهُ على الطّريق، وتُشَاركُ النهرين نَشيدَهُما الذي يُسْمعُ من بَعيد، فهي أيضاً اشتاقت للشّمسِ المَسْلوبةِ، وباتتْ تَتمنّى التمدّدَ والتّلوي في وَهْجها الأسْطوريّ.

وأخيراً؛ وصل الأميرُ إلى قمّةِ جبلِ سيّدة الحكْمة والدّهور، وعلى بَوابة الكَهف الذي تسكنهُ وجدَ وحْشاً رهيباً يحرسُ المكانَ، كان وحْشاً ضَخْماً بجَسد أخضرَ مشعور، وملامحَ مخيفةً، وشَعْرٍ مُجَعّد، ورائحة مُنْتة، كان خَليطاً عَجيباً من البشَر والحَيوان.

رُعِبَ الأميرُ عندما رآه ولكنّه تَمالَك نفسَهُ، ورجَاه أن يسمحَ له بدخُول الكهفِ، ولكن الوحش زمجرَ قائلاً: «لا يُسمحُ لأحدٍ بالدخولِ دون أن يقدّم لي هديةً».

فكّر الأميرُ قليلاً وقالَ بحزنٍ وانكسارٍ: «ولكنّني لا أملكُ شيئاً، أنا كما تَرى لا أملكُ حتى ملابس أو حذاء».

صمتَ الوحش قليلاً ثم تفرّسَ في وجهِ الأمير، وقالَ: «ولكنكَ تملكُ عينينِ شَفّافَتينِ، سَأقبلُ بهما مقابلَ سَمَاحي لك بالدخولِ إلى سيّدة الحكمة والدّهورِ».

قالَ الأميرُ بحزن: «ولكنْ كيفَ سَأرى رَعيّتي دونَ عَينين؟».

زمجَر الوحشُ قائلاً: «تستطيعُ أن تَراها بقلبك إن شئتَ».

فكّر الأميرُ شمس قَليلاً، وقال في نفسهِ: «أنا لستُ في حاجةٍ إلى عينين؛ لأنّ حبّ الرعّيةِ هو العينان».

قدّم الأميرُ شمس عينيه عن طيبِ خاطر إلى الوحشِ الذي سمحَ له بالدخولِ إلى الكهفِ حيثُ تعيشُ سيّدةُ الحِكْمَة والدّهور.

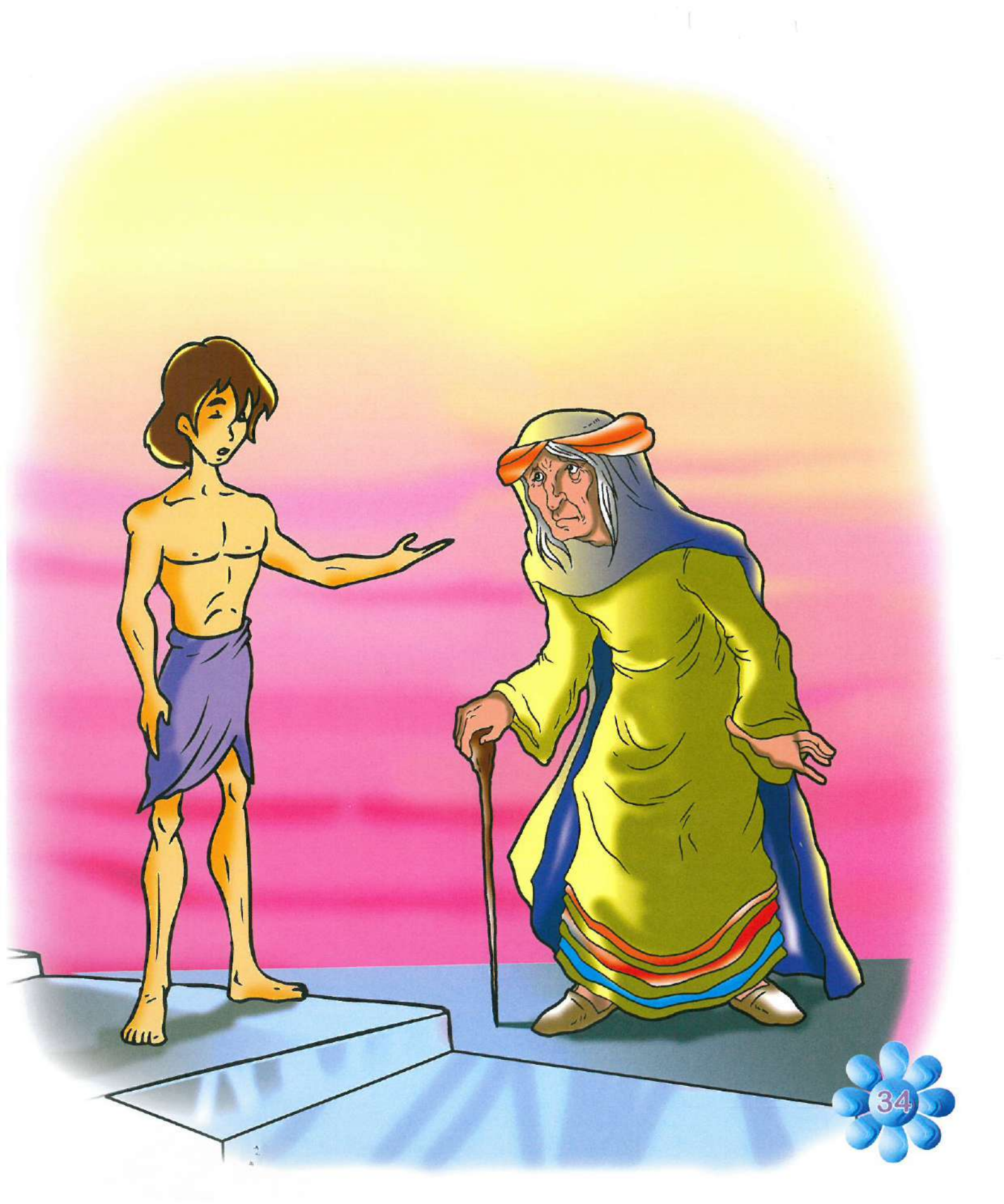

وأخيراً وصَلَ الأميرُ شمس لُمبتَغاهُ، كان المكانُ بارداً، شمّ بأَنفه رائحةَ النّعْناع البّري، كان يقفُ دونَ أن يعلمَ أمامَ سيّدة الحكْمة والدّهور، كانتْ كبيرةً جدّاً عمرُها يتجَاوزُ ألف عام، قَسَماتهُا غائرةٌ في وجْهها، ولكنّ بريقَ عيَنيها يشي بوجْهها، تلبسُ عشراتُ الأثوابِ المخْتلفةِ اللّون، وتسيرُ ببطءٍ وهُدوءٍ، وتعيشُ في كنفها آلافُ المخْلوقات.

أشفقَتْ سيدةُ الدّهور على الأمير شَمس الذي يقفُ أمامَها هَزيلاً جَائعاً فقيراً عَارياً حَافياً أعمَى العَينين، لكنّ حُبّ الرعيةِ يسكُن قلبَهُ، قالتْ له بنبرةٍ حَنيّةٍ كلّها حبّ :«هلَ طلبتَ مُقَابلتيْ أيّها الشَابّ الصّغيرُ؟».

فرحَ الأميرُ الصّغيرُ لسَمَاع صَوتِ سيّدة الدّهور، وقالَ بلَهْفَةٍ كبيرةٍ: «نعم يا سَيّدتي، أريدُ أنْ أسألَكِ عن فتىً يملكُ قلباً من ذهبٍ، تقولُ الأسطورةُ أنه سيُعِيدُ الشمسَ المَسْلوبةَ إلى مَمْلكتي، كيفَ الطريقُ إليه؟»

صمتتْ سيدةُ الدّهورِ وقالتْ بصوتٍ عميقٍ هادىء: «إذن أنتَ تسألُ عن صَاحب القلب الذهبيّ؟»

قالَ الأمير بلهفةٍ وانكسارٍ: «نعم يا سيدتي الجليلة، هل يُمْكنُكِ مُسَاعَدتي في الوصُولِ إليه؟»

«أما زلتَ لا تعرفُ الطّريقَ إليه؟» سألتْ سيدةُ الحكْمة والدّهور بتعجّب.

أومأَ الأميرُ بالنّفي برأسه، قالتْ سَيدةُ الحكْمةِ والدّهور: «هل أحضَرتَ لي هديةً؟ أنا لا أُجيبُ عن أيّ سؤالٍ إذا لم أحصَلْ على هَدِية».

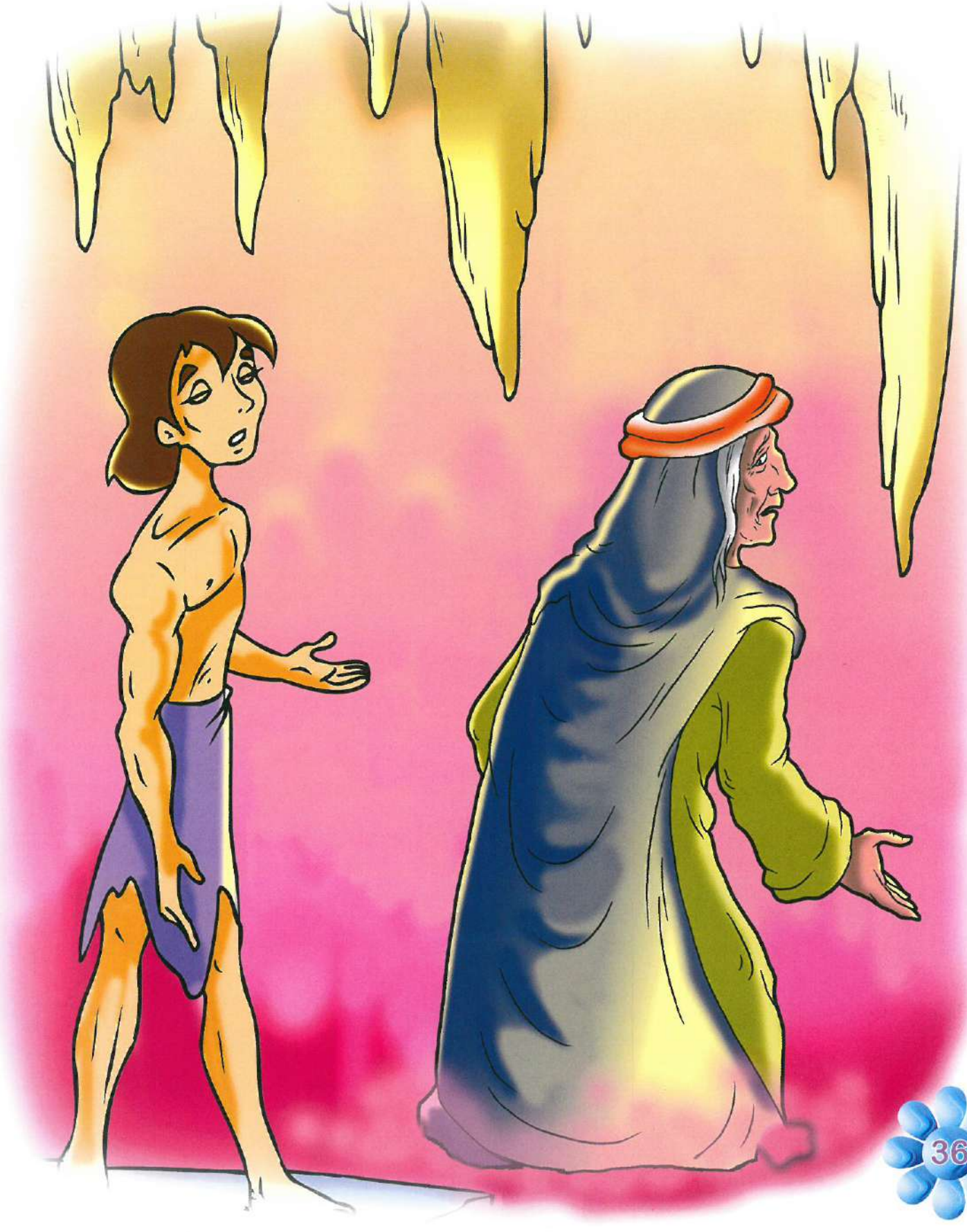

قالَ الأميرُ بحَرج: «أنا لا أملكُ أيّ شيءٍ الآن يا سَيّدتي الجَليلةُ، فهلْ يُمكِنكِ أن تُساعديني دونَ مقابل؟».

قالتْ سَيدةُ الدهورِ بغَضبٍ: «بل تملكُ قلباً، أعطِهِ لي، وأنا أُجيبُ عن سؤالِكَ مقابلَ ذلك».

فكّر الأميرُ قليلاً، وشَعَر بحزنٍ عميق لأنه سيُعطِيها قلبهُ الذي يحبّ رَعِيتهُ، ولكنّه استَجْمعَ شَجَاعتهُ، وقال: «تستطيعينَ أن تأخذيه يا سيدتي». واستعدّ للألم.

مرتْ الدقائقُ رهيبةً في انتظار أن تأخذَ سيدةُ الدّهور قلبَهُ، ولكنّ ذلكَ لم يَحْدُثْ، بلّ ابتسمَتْ السيدُة الجليلةُ، ومدّتْ يدَهَا الحَانيةَ إليه، وقالتْ «يا أميري الصّغيرُ الطّيبُ، الفتىَ الذي يُضَحّي بكلّ شيءٍ من أجلِ رعيتهِ هو دُونَ شكّ من يملكُ قلباً من الذّهب، القلوبُ لا تُصْنعُ من الذّهب، ولكنّها تُصبُح من ذهبٍ بحبّ الناس، أنت تحتاجُ فقَط إلى حبّ الناس ومعونتهم كي تعيدَ الشّمس المَسْلوبة. الشمسُ تُعاد بالحبّ، فقط بالحبّ، هل سَمِعتني أيّها الأميرُ الطّيب؟ قلّ لرعاياك أن الحبّ والتعاونَ هما من سَيُعيدان الشمسَ المَسْلوبةَ».

عادَ الأميرُ شمس إلى مَمْلكته الغَارقةِ في الظّلام، كان فقيراً جَائعاً عَارياً حَافياً أعمىَ، لكنّ القلوبَ تحبّه، كان فَخُوراً لأنه يملكُ قلباً من ذهبٍ.

حَشَدَ جيشاً ليسَ من الفُرسَان بل من المُحبِينَ، المُسْتعدّين لبَذْلِ أرواحِهم من أجْلِ الشّمسِ التي طَالَ غيابُها، كانَ المحبّون كُثُر، قطعُوا الصّحَارى، ردّدتْ المَمْلكةُ من الخَليجِ إلى المُحيطِ صَدَاهُم، اجْتَازوا الوِدْيان، حتى حِجَار الأرض كانتْ تُزغردُ لهم، انَضمّتْ حتى الحيوانات إلى ثَورتهم الشّريفة، هاجَمُوا جميعاً مملكَةَ الظّلام، وانتصَروا على جيشِها الكبير المُظْلِم؛ لأنهم يملكُونَ قلوباً مُحبّةً، ويعلمون أن اللّه يباركُ ثورةَ القلوبِ التي تحبّ الشّمسَ، وبعد حَربٍ طويلةٍ عادُوا يحْملون الشّمسَ.

كانتْ شَمْسَاً دافئةً تلمسُ القلوبَ الحزينة فتفرحُها، وتردّ السّعادة إلى الوجوه الذابلة، كانتْ شمسَاً عظيمةً تشملُ كلّ البشر، ولا تعرفُ فرقاً بين مواطن أو آخر، تغمرُ الوجُوه بالسّعادة، وتضيء القسَمَاتِ المظلمة، وتُدغدغُ القلوبَ الحَزينة، فتضحكُ طَويلاً سعيدةً مُبتهجةً، ومن جَديدٍ عادتْ مملكَةُ الشّمس أسعدَ بلادِ الدنيا، الكلّ فيها ينْعَمُ بالأمانِ والدفء والحُبّ، والشمسُ تَغْمُر الكلّ بأشعّتها الذهبيةِ التي تُدَغْدغُ القلوبَ الحزينةَ، يحكُمها أميرٌ أعمَى لا يملكُ تاجاً أو صَولجَاناً، ولكنه يملكُ قلوبَ رعيته، هو أعمَى العينين لكنّهُ يرعَى رَعّيَتَهُ بقلبِه الذهبيّ الذي يتّسع لكلّ رعيته.

وبقِيَتْ الجدّاتُ تحدّث الأطفالَ عن أميرٍ أعمَى له قلبٌ من ذهب أعَادَ الشّمس إلى مَمْلكته، وغَدَا كلّ أطفالِ الدّنيا التي سُرقتْ شمسُها يحلُمُون بقدومِ الأميرِ ذي القلبِ الذّهبيّ.

من إصداراتنا

الدورة الخامسة – عام 2000 م

١- حينما تصالحت مع جدي
٢- حكاية مع الأسد
٣- الحديقة
٤- أمنيات خالد
٥- نجمة

الدورة السابعة – عام 2002 م

١- أجمل إحساس
٢- الصخرة
٣- بائع البرتقال
٤- الأبطال والجائزة
٥- البحث عن الكنز

الدورة التاسعة- عام 2004 م

١- دبدوب و الكنز
٢- أحكي لكم عن جدي
٣- بدر الليل
٤- دموع الجسد الحزين
٥- المشتل الصغير

الدورة السادسة – عام 2001 م

١- حكاية الصقر شاهين
٢- المرأة الذكية
٣- صانعة الأحلام
٤- درة المياه
٥- مدينة من ثلج

الدورة الثامنة – عام 2003 م

١- الجزيرة الوليدة
٢- عانقي الشمس أيتها العصافير
٣- الوصيّةُ
٤- أين تنام الشمس؟
٥- ملء الكف

سلسلة قصة الطفل العربي

القصص الفائزة بجائزة

الشيخة فاطمة بنت هزاع بن زايد آل نهيان

لقصة الطفل العربي

الدورة العاشرة 2006 م

المرتبة الأولى

أجمل العصافير - عامر بخوش أحمد

المرتبة الثالثة (مناصفة)

حلم النمله دودي - هالة محمد طوسون عبد العزيز

المرتبة الثالثة (مناصفة)

صاحب القلب الذهبي - سناء كامل أحمد شعلان